حجاجية الآليات البلاغية في الشعر الجزائري
قصيدة –أيها المعلم حسبك الله- للربيع بوشامة

Argumentative Rhetorical Mechanisms in Algerian Poetry
Poem" O' Teacher God Bless You- Al-Rabie Boushama"

طالب دكتوراه: يوسف روباش
الدكتور: صلاح الدين منقور

قسم اللغة والأدب العربي –جامعة ابن خلدون-تيارت(الجزائر)
مخبر الخطاب الحجاجي أصوله وآفاقه ومرجعياته في الجزائر ،جامعة تيارت.
Youcef.roubache@univ-tiaret.dz

تاريخ الإيداع: 2020/04/10 تاريخ القبول: 2021/04/29 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص:

تعد النظرية الحجاجية(البلاغة الجديدة) من النظريات المعاصرة التي تهتم بدراسة التقنيات الخطابية التي تساهم في إذعان المتلقي، أو زيادة إذعانه؛ بحيث تعتمد النظرية الحجاجية بالأساس على الإقناع، إذ يستعمل الخطيب أدلة وبراهين وحجج لتحقيق الغاية المنشودة وهي التأثير في الجمهور، واستمالته وتوجيه تربويا، وأخلاقيا وتدعيم أفكاره وتثبيتها في الأذهان.

فالخطيب (الشاعر) الربيع بوشامة يكتب لإقناع الآخر والتأثير فيه باستعمال طرق وأساليب بلاغية إقناعية .

الكلمات المفتاحية: الحجاجية ، التأثير، الإقناع، الخطيب، الشعر .

Abstract:

The argumentative theory, new rhetorics, is one of the recent the ories considering the oratorical thechnique, which enable to submit the receiver or increase his or her submission. As the argumentative theory is mainly based on persuaison, the orator deploys premises, evidence and arguments to achieve the desired goal. The latter turns around affecting, to direct it educationally and ethically as well as enriching its thoughts and instilling them in minds.

The orator, poet al-Rabie boushama, writes to convince and to impact others utilizing rhetorical argumentative methods and styles.

key words: argumentative ; persuasion ; influence ; The orator; poetry.

مقدمة: تعد النظرية الحجاجية (البلاغة الجديدة) La nouvalle rhétorique* من النظريات المعاصرة الأساسية في كل العمليات التواصلية، والغاية منها ليست التنميق اللفظي والزخرفة اللفظية؛ بل غايتها الإقناع والتأثير، و كل خطاب حجاجي إقناعي غرضه لفت انتباه المتلقي والتأثير فيه وتغيير أفكاره ومعتقداته الذهنية والعقلية باستخدام أساليب متنوعة من طرف المتكلم، وقد حدد شاييم بيرلمان Chaim Perelman، وأولبريش تيتكا Lucie Tyteca Olbrechts- موضوع البلاغة الجديدة بأنه: " هو دراسة الخطاب غير البرهاني وتحليل الاستدلالات غير المقتصرة على الاستنتاجات الصائبة بصورة شكلانية (...)؛ إذن نظرية الحجاج هي البلاغة الجديدة (أو الجدل الجديد) التي تشمل كل حقل من الخطاب الذي يسعى إلى الحث أو الإقناع، مهما كان نوع الجمهور الموجه إليه الخطاب، ومهما كان موضوع ذلك الخطاب "[1] الذي يؤثر في الجمهور وتحقيق الغايات المنشودة من الخطاب، وقد بيّن بيرلمانPerelman وتيتكا Tyteca الغاية من الحجاج في كتاب " مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة – traité de L'argumentation La nouvelle rhétorique: "إنّ غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المنشود، أو ما نجح على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في الوقت المناسب "[2]، وشاملة لجميع الخطابات اللغوية من الإبداعية و العادية، فلكل خطاب شروط أساسية كأن يحصل تفاعل بين المتكلم والجمهور يقول علي الشعبان في كتابه الحجاج بين المنوال والمثال : الحجاج ليس استدلاليا تعليليا يدور في حقل البرهان المنطقي المحض وخارج كل اندراج للذات؛ بل يطلب أمرا مغايرا معاكسا لذلك تماما، وهو وجود العلاقة التفاعلية بين الخطيب و الجمهور، إذن البلاغة عند بيرلمان perelman وتيتكا tyteca هي تأثير متبادل بين الخطيب والجمهور يشمل طابعا حقل الخطاب لغاية إقناعية تأثيرية، وهو ما يمثل حجر الزاوية في نظرية الخطابة الجديدة[3]؛ فالبلاغة الجديدة عند بيرلمان perelman وتيتكا tyteca اتخذت طابع التفكير المنهجي حول إنتاج الخطاب الإقناعي، وقد ردا الاعتبار للحجاج وأعادا إحياء المشروع الأرسطي، الذي يهدف إلى حصر الثوابت الحجاجية، و أعادا ربط الحجاج بفن الإقناع، ووضعا الإقناع في مركز اهتمام البلاغة [4]، في حين تقوم البلاغة الجديدة (النظرية الحجاجية) على طريقتين عند الباحثين بيرلمان perelman وتيتكا

tyteca: طرائق الاتصالية procédés de liaison ويشمل ثلاثة أنماط: الحجج شبه منطقية، والحجج القائمة على بنية الواقع، الحجج المبنية للواقع التي تستمد طاقتها الإقناعية في مشابهتها للطرائق المنطقية والشكلية والرياضية في البرهنة، والحجج المؤسسة على بنية الواقع فهي تقوم على الربط السببي وحجة السلطة ، والحجج المؤسسة لبنية الواقع كالشاهد والمثل والتمثيل والاستعارة والكناية ... [5]، وتمثّل هذه الأدوات اللّغويّة المضمون الكلّي للخطاب والأثر الجليل الّذي بُني عليه الخطاب فإذا خلا الخطاب من هذه الأدوات البلاغيّة الإقناعيّة؛ لا يمكن وصفه بأنّه خطاب بلغ عمليّة الاختراق الأساسي لفهم الأيديولوجيات الّتي قدم منها إلى إيديولوجيات قصد التأثير عليها.

وتستمد أدوات الخطاب طرائق عديدة الطرائق الانفصالية la dissociation des notions تستخدم الطرائق للفصل بين عناصر تشكل وحدة بينهما فهي في الأصل عنصر متلاحم ومترابط، إنما وقعت القطيعة بينهما وعمد إلى كسر المفهوم الواحد الذي يجمع بينهما لأسباب دعا بها الحجاج وبناؤه القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المنسجمة على زوج: الظاهر apparence والحقيقة réalité، وكل الأشياء لها حدان فمن ناحية لها ظاهر مرئي ومن ناحية أخرى لها حقيقة وهي جوهرها[6]، ومثال ذلك استعمال بعض العبارات والطرق لتوضيح الحقيقة مثل: الأقوال بين قوسين وبعض الجمل الاعتراضية.

و الحجاج نمط إقناعي في جل المحادثات ومناقشة الأطروحات والرسائل بشتى أنواعها، وقد فرق بيرلمان perelman وتيتكا tyteca النظرية الحجاجية إلى صنفين: إقناعي persuasive واقتناعي convaincante. يتوجه الإقناع إلى متلق خاص l'auditoire particulier، ويعتمد بالأساس على الخيال والعاطفة، أما الاقتناع فهو يهدف إلى أن يسلم به كل ذي عقل أو المستمع الكوني l'auditoire particulier فهو عام يعتمد بالأساس على الحرية و العقل[7]؛ فالإقناع والاقتناع مرتبطان ببعضهما البعض الاقتناع هو منتوج عقلي أساس الإذعان وأساس الحجاج، و الإقناع بما هو ذاتي وخاص وضيق، لا يعتد به في الحجاج[8]، فالمتكلم يثبت رأيه بالحجج والبراهين والأدلة.

أولا: المحتوى النظري ومفهوم الإقناع:

يعد تحديد مفهوم الإقناع الشغل الشاغل للدارسين فهو عملية إيصال الخطيب للمتلقي أفكارا واتجاهات وقيم مباشرة أو غير مباشرة عبر مراحل معينة في ظل تواجد شروط موضوعية وذاتية مساعدة، وعن طريق عملية الاتصال، ويرتبط بمفهوم الإقناع مفهوم آخر وهو التأثير

ويكاد هذان المفهومان يكونان مقترنين فظاهر لفظ التأثير يشير إلى عملية تبدأ من المصدر لتصل إلى المستقبل مع توفر إرادة لذلك في حين أن مصطلح التأثر يشير إلى الحالة التي يكون عليها الفرد بعد التعرض لعملية الإقناع واستقبال الرسائل وتفاعله معها؛ فهو نتيجة للتأثير [9] أما في تراثنا العربي فنجد الفيلسوف العربي الوحيد الذي وقف في شرح الإقناع هو الفارابي فقد قال " الخطابة صناعة قياسية غرضها الإقناع "[10]، ولكي يحدث هذا التأثير في الأفعال فإن الأمر يستدعي تبرير الخطيب آرائه ويثبتها بالحجج والبراهين والأدلة، والخطاب صناعة إيديولوجيّة قياسيّة مبنية على معتقدات وأدوات لغويّة حجاجيّة كالأساليب الخبريّة والإنشائيّة والاستعارة والكناية والمجاز والتوريّة والمحسنات البديعيّة غرضها الإقناع، ولا يكاد أيُّ خطاب يخلو من هذه الوسائل البلاغيّة التأثيريّة الإقناعيّة.

ثانيا : المحتوى الإجرائي للوسائل البلاغية في الخطاب للإقناع والتأثير:

تتمثل الوسائل البلاغية في مجموعة من الأساليب التي تمكّن الخطيب(الشاعر) من تأدية المعنى بشكل فصيح وبليغ و واضح مع مراعاة الايجاز نذكر منها المجاز والاستعارة والتمثيل والاقتباس والايجاز والطباق والجناس وغيرها من الأساليب التي تدعم وتوفر للخطاب من جمالية تحرك بها وجدان الجمهور، وقيادته إلى فكرة أو رأي مضبوط، وتوجيه سلوكاته وتحقيق المعنى التي يريدها الخطيب (الشاعر) توجيه جمهوره بها، " الشعر لا يمنحك نفسه إلا بعد جهد وكدّ؛ أي بعد تفكيك التركيب وتحليل الصورة وتأويلها، ومن هنا كان غموض الشعر الذي لا يتأتّى من "التصوير" فحسب بل من كل طرائق "التغيير" (...) ويباشر في شعره خروجا متواصلا على مستوى اللغة فيخفى المعنى ويدقّ، ويحتاج المتلقي إلى وسائط تذلّل الصّعوبة وتُيسرّ الفهم "[11]، فالإقناع مرتبط بجمالية الخطاب وحسنه اللفظي والمعنوي، فالخطيب (الشاعر) يسعى لإرضاء مستمعيه، ودفعهم إذا تطلب الأمر التوجه في الغاية المرغوب منها والأساليب البلاغية التي تحفل بها قصيدة – أيها المعلم حسبك الله –للربيع بوشامة*؛ فقصيدة أيها المعلم حسبك الله تمثل دافعا لعملية الحجاج، الّتي تنمي قدرة الشاعر على الإقناع وأهم هذه الأساليب الّتي سيجيب عليها هذا البحث:

1- **الاستعارة :**

تعد الاستعارة نوع من الحجج المرتكزة لبناء الواقع فإنّ لم تكن حجة يستدل بها الشاعر احتجاجا لفكرة أو رأي فإنها تبقى جمالا وزينة للشعر والقول يتأثر بها المستمع، ولقد ذهب ميشال لوغرين michel le guern من مقابلة بين الاستعارة الحجاجية والاستعارة غير الحجاجية

أو الشعرية بقوله: " الغاية الجمالية للاستعارة الشعرية مطمحا إقناعيا للاستعارة الحجاجية" [12]، إن الاستعارة الشعرية أو غير الحجاجية قادرة على التأثير بجمالية الشعر والألفاظ المتناغمة يتلقاها المستمع ويتفاعل معها فنيا جماليا، وهذا لا يعني أن الاستعارة الحجاجية خالية من طبيعتها الجمالية الفنية فكلاهما هدفهما الإقناع والتأثير، وقد اخترنا قصيدة أيها المعلم حسبك للربيع بوشامة الّتي وُظفت فيها الاستعارة كأداة حجاجيّة للإقناع.

قال الربيع بوشامة :

وقضى أن سوف تحظى عنده بنعيم أبـدي وهنـــاءه

ومقـام مكـــــرم لقـــى به كل نضر وسرور أصفياءه

سوف تلقـــاه بقلب مؤمـن مطمئن يملأ النور جواءه [13]

يقصد بالخطاب هنا: اللقاء بالله والإيمان به بعد نشر العلم، وتحرير العقول والقلوب ليكونوا قدوة لغيرهم والانتفاع بالتعاليم التربوية، فالشاعر استعار لفظة تلقاه (اللقاء) التي يتصف بها الانسان الذي يسعى دائما للقاء الله عزّ وجل بقلبه المؤمن ذلك أن الإيمان هو خيالي وغير ملموس وغير ظاهر، وقد شبهه بالإنسان الذي يستعد بعد مدة من الزمن وبعد تهذيب نفسه والالتزام بالفضائل والأخلاق والكفاءات، وجلب معه أعماله وبيان حقيقته فالشاعر أراد من استعارته للفظة تلقاه إقناع المتلقي ويتجاوب معه بضرورة التسلح بالأخلاق والآداب لتعليم الأجيال المبادئ وإصلاحه، والتمسك بالعقيدة الإسلامية والثبات بها، والصبر على كل أنواع البلايا والمحن، وأن الإيمان بالله والتسلح بالتقوى سيعود عليك بالخير والحقّ وتؤجر على كل الأعمال التعليمية والتهذيبية.

قال الربيع بوشامة:

ويشيع الحب فيه الرضا كل نعمى قد حباها أولياءه [14]

قصد الشاعر في خطابه " ويشيع الحب فيه الرضا " استعار لفظة "يشيع" ، فلفظة يشيع من كلمة شاع مرتبطة بالجانب الإعلامي أو الإخباري والمقصود منه جعل كل ما هو مخفي معلوم عند العامة، والحب بما فيه من عواطف ولهفة وود لا يكون ظاهرا ولا معلوما، ويختفى في مواطن الكتمان ألا وهو القلب فالحب كلمة مختصرة تزرع بذور الصدق والصراحة وتعتني بمصادر

الرضا، وتحصد الثقة ليكون واقعا جياشا لينتفع بها الناس، فالشاعر يحث من خلال استعارته للفظة يشيع و ربطها بالحب، فالحب له حرمة وحرمته صدق الروح والعواطف الثائرة، و اعتمد الشاعر على الاستعارة لجذب المتلقي وإقناعه بالخطاب وتأثيره بلغة الخبر حتى في أحرج الأوقات، وهذا دليل على أنه كان شاعرا بما يتلفظ قولا وما ينجزه فعلا؛ ذلك أن حظ الحب من الحياة قد يُولَى في شتى الظروف والمواقف الشريفة وبررها " نعمى قد حباها أولياءه ".

قال الربيع بوشامة:

إنك المحظوظ والله، وإن عشت رهن البؤس مشبوب الظماء

غبطتك الروح والجنـــات والملأ الأعلى ، وأولاك ثنـــاءه [15]

والغبطة صفة حميدة يتصف بها المؤمن وغايتها تمني النِّعم من هو أعلى منه في النعمة من مال وعلم ومكانة دون زوالها للمغبوط ، ما أراده الشاعر في خطابه استعارته للفظة "غبطتك" دلالة على نجاح تجارته في الحياة، ويبعثها على العمل، ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي التعليمي فالغبطة يتسم بها صاحب القلب الطيب وقد ربطها الشاعر بالروح والجنات والملأ الأعلى، فهذا دليل على أن الغابط لا يغبطه وحده بل؛ الروح والجنات والملأ الأعلى، إنّ فعل الخير وترك بصمة في نفوس الناس وبث روح الحياة والرغبة في التقدم هي من الانتصارات التي ينتصر العلم على الجهل، فالإنسان لا بد أن يكون ذا قيمة ومنزلة في الأسرة والمجتمع فهو يعيش في وسط سائد من الفوضى من جميع الجهات فمن فوضى الأخلاق إلى فوضى الدين إلى فوضى الاقتصاد الدنيا.

قال الربيع بوشامة:

وتمنى المعبد المحروم لو نال في الغيب- كما نلت- رجاءه
أي مخلوق على الأرض يدا فيك صبرا واجتهادا وكفاءة
أو يساميك صلاحا وتقى وحنان القلب أو حسن كلاءه [16]

واستعار الشاعر لفظة تمنى وهي صفة للإنسان الذي يدعو ويتمنى لشيء يحبذه له فالمعبد المحروم لا يتكلم ولا يرى ولا يدعو ولا يتمنى بل الانسان يتصف بها، والمقصود من خطابه أن المعبد المحروم حسده على ما ناله المعلم من مكانة وكمال الخلق، واستقامة الأعمال، واستنارة الأفكار أيضا أراد الشاعر من اختياره للفظة —كما نلت رجاءه- يقنعنا بأن الذوات تحب ما يحلو لها من مميزات (الجنة)، وتغير حال إلى حال ولا نستطيع أن نتنازل طوعا واختيارا، أو كرها وجبرا على تلك الذاتية، وما فيها من سعادة وفلاح في الدنيا والآخرة، ونيل الثواب والأجر.

قال الربيع بوشامة:

أنت روح الله أحيـــــاك الأ رض كي تخلف فيها أنبياءه
وحباك العقل والعلم وأوجب *أن تنشر في الناس ضياءه* [17]

وأما استعارة الشاعر لفظة (أن تنشر في...) هي دلالة على الإلقاء والتلقين، وعادة نجد هذه اللفظة في الخطابات الإعلامية بغرض إذاعة وإبلاغ الناس بالخبر، وقد ربطها بالضياء والنور وقد قصد باستعارته إقناع المتلقي، وتوجيه وجهة الحق واليقين بتلقين العلم وتثقيف العقول، وهي غاية شريفة ترقي بها المجتمع والوطن، وتتصدى للتخلف والانحطاط المعرفي والتربوي وقيود الكآبة وسجن البؤس، وإرسال معاني إيمانية إلى القلوب والعقول للحث على العمل والأمل والانتصار والنجاة من الانحدار.

قال الربيع بوشامة:

واصطفاك الله مذ أورثـك الذكر والدين و ولاك رعاءه
حظك الحظ المعلى في الورى وهداك الحق لا شيء وراءه [18]

والشاعر في خطابه استعار لفظة أورثك ومعناه أن شخص ورث من والده تركة من مال وأراضي كثيرة، وقد ربط الشاعر لفظة أورثتك بالألفاظ الذكر والدين والرعاية للتأثير في المتلقي (المربي والمعلم) تأثيرا قويا ونافعا ليدرك أهمية المهامات التي أُسندت له في هذه الحياة، وأن لا يغفل عنها ويتقاعس عن أمر الله والتفريط فيه ليُجز أحسن الجزاء، ويتحصل على راحة وسعادة نابعة من أداء مهامه على أكمل وجه وعلى نجاحات بعد جهد جهيد، إنما من أوقع الظلم والأذى ونشر الضلالة وإدخال الضرر والشر، وما أُنبت من دلائل الفشل وطفيليات جهل في صدور المتعلمين يصيبه الملل والضجر ويحرم من لذة السعادة ولذات الدنيا؛ فجزاءه العذاب والألم والخسارة في حياته وهذا جزاء اختياره. يحث الشاعر المتلقي بتحريك وجدانه على تغذية المتعلم علما وتأدية الأعمال والإخلاص فيه لوجه الله، والخشوع والدعاء والتضرع لله عز وجل، والإقلاع عن الذمائم والآثام واجب مشروع فيحجج " حظك الحظ المعلى في الورى " سعادة تنالها من ملذات الدينا ونِعم جمة.

قال الربيع بوشامة:

وإذا شئت عبد صالح تفعل الخير وتسعى بالهناءه
وتشـيد الروح والقلب سوى بنظام بـارك الله بنـاءه
إنك المسؤول عن هذه الحمى وعن الشعب الذي يبغى سناءه [19]

وكذلك استعار الشاعر لفظة تشيد وهي دلالة على تنويه وثناء على اجتهاد شخص بعمل ما ينتفع به المجتمع، وقد ربط الشاعر لفظة تشيد بالروح والقلب الشاعر يقنع المتلقي بأن الوجدان والشعور قاما بواجب الإعجاب والاحترام والشكر والمدح بدل الإنسان لكل معلم عظيم أخلص في عمله وتربيته، وتوطيد المحبة بين المتعلمين والعلم، وخدمة العلم وجني ثمار التضحيات التي قام بها المربي في سبيل تلقين العلوم والتربية، ويبلغ مرتبات عالية وحجّج ذلك " إنك المسؤول عن هذه الحمى" ويقصد البواعث الخفية الخبيثة لتهديم المجتمع فكريا وتربويا، وأن الاهتمام والاعتناء بجيوش الغد في الفكر المعرفي، وإحسان إليهم والتقرب إليهم دون تخليط وتشويش غاية عظيمة مفعمة بالافتخار والاعتزاز، وفرح شامل مقدس في نفوس الشعب وتتوطد أواصر المحبة والود والإخلاص بين المعلم والمجتمع.

إن أهمية الاستعارة في الخطاب الشعري وخاصّة المتعلق بالتربية والتهذيب الأخلاقي لها فضل كبير في إبراز المعاني والكشف عنها، وقيمتها في بلاغة الخطاب الشعري، وفهم براهينه قصد تبسيطها وتوضيحها، إن اقتران الحجاج بالإقناع يستحيل الفصل بينهما كلما كانت الألفاظ راقية وجميلة كان المعنى مقنعا فيزداد قوة التأثير والإقناع في المتلقي.

2- **التمثيل (التشبيه):**

يرى عبد القاهر الجرجاني الفرق بين التشبيه والتمثيل بقوله: " فاعلم أنّ التشبيه عام، والتمثيل أخصّ منه، فكلّ تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا"[20]، فالتمثيل بمعنى خاص والتشبيه بمعنى عام؛ لأنه يحتاج إلى الإمعان والتأمل واسترضاء الذكاء فالتمثيل لها صورة فنية جمالية تطرب وتمتع نفوس السامعين فتبعد عنهم الملل والسآمة .

قال الربيع بوشامة:

أو بجاريك طموحا للعلى وجهادا مستميتا وجراءه

أنت في الآفاق غيث منعش وشهاب الله نارا وأضاءه[21]

واستخدم الشاعر في خطابه تشبيها " أنت في الآفاق غيث منعش" قصد الشاعر بها لتقوية المعنى وضوحا ورونقا، إذ أنه شبّه الإنسان ويقصد به المربي والمعلم بالغيث وهو مطر غزير يجلب الخير لكن الشاعر يريد من تشبيهه أن المعلم والمربي من أهل العلم، هو مثال ناطق بالعلم والتفكير السليم يوجه المتعلم إلى ما هو خير وسداد، وهو المثل الأعلى في الأخلاق والتربية؛ و من خلال هذا التشبيه أراد الشاعر إقناع المتلقي والتأثير فيه بأن يرفع أخلاق المتعلم من وهدة الانحطاط والظلال، وأن يبعث بالعقول على النظر والتفكير والاستنارة بضوء العلم الهادف، والسير في الطريق المستقيم، وتوجيه كل متعلم وجهة الحقّ والخير ليحيي النفوس عزيمة وإصرارا في القصد

والقول والعمل، وما يخفيه العمر في المستقبل لا يعلمها إلاّ الله وهذا هو شأن العلماء المحصلين، أما إذا دفنت الآمال في صدور المتعلم من أساليب وانغماس في مستنقعات الاحتقار والظلم والنذالة والتخريب وغيرها فاعلم بأنك ستنال النقمة واللعنة عاجلا أم آجلا وتخيب آمالك، وهذا هو عقاب من يميلون إلى السخافات والتهديم فتنوير العقل وتزكية النفوس سبيل لإصلاح المبادئ بالإحسان والإخلاص.

قال الربيع بوشامة:

أنت في الأوطان أعلى مثلٌ لهدى الله وتحقيق رجاءه
أنت روح الله أحياك الأ رض كي تخلف فيها أنبياءه [22]

وأراد الشاعر في خطابه " أنت روح الله أحياك الأرض " تشبيه (المعلم) بروح الله أو الوحي والوحي ينزل على الأنبياء والرسل، فالعلماء ورثة الأنبياء، أراد من خلال التشبيه أن يقنع المتلقي ويقرب المغزى ليؤثر فيه ويخص المعلم والمربي بتذكيره بأنه خليفة الأنبياء بالعلم والتعليم والفكر السليم ومسايرة ومجالسة العلماء، وإفادة الناس علما وحكمة في كل أمور الدنيا والآخرة، وصلاح العلم والتعليم هو صلاح المتعلم والمجتمع؛ فالشاعر قصد بالتشبيه تذكير المتلقي (المعلم) بأن الله عز وجل فضل العلماء على بقية الناس لإبقاء صوت الحق بينهم وتعليم أبنائهم لغة وآدابا، والإخلاص لوجه الله، إن الغاية الأساسية من التشبيه التأثير في المتلقي بإرشاد المتعلم وإنعاش الناس علما وأدبا وهداية، وبعث الخير وزرع بذور الأمل والخير لنيل رضى الله تعالى وتلك هي غنيمة الآخرة .

قال الربيع بوشامة:

وحياة حـــرة زاهـرة كل ما فيها سعود ووضاءه
أنت إن شئت ملاك طاهر تنسج النور وتسمو بنقاءه
و إذا شئت فعبد صالح تفعل الخير وتسعى بالهناءه [23]

وقصد الشاعر في خطابه: تشبيه المعلم العظيم بملاك و هو من الملائكة، والشاعر عمد إلى تصوير الأشياء الخفية وتبسيط أكثر للعقل من خلال لفظة طاهر أي أنه طاهر من النجاسة والدنس، وقد مثل هذا التشبيه قوة بلاغية إقناعية لاستحضار المعنى عند المتلقي والتأثير فيه وحثه على الالتزام بإنقاذ عقول الناس من الفقر المعرفي و التوفيق والتيسير في فعل الخير بالروح الإنسانية و الأخلاق الدينية، فالمعلم يسعى لخدمة الخير وتهذيب الأخلاق وتطهير العقول من الأفكار الميتة، ونشر التعاون المحمود والعناية العظيمة بالأبناء و إدراكهم بترك ما هو سبب هلاك

النفوس، فإذا تأملنا في التشبيه نجد رواج الخير ليس ظاهريا فقط ويتحقق في جميع النواحي بإرشاد الناس من جميع الأجناس، وتنشيط المسلمين على إنفاق كل ما لديهم من مال وجاه وكد.

والتشبيه متسق مع الغرض الذي سِيق من أجله وإقناع المتلقي وتأثير فيه من خلال التذكير والاعتبار والحث على الخير.

3- الكناية:

تعد الكناية من أهم الآليات البلاغية بعد الاستعارة والتمثيل، والتي يعبر بها الخطيب جمهوره بحيث يخاطبهم بخطاب غير مباشر له معنين: معنى ظاهري مخفي ويحتاج إلى إيضاح لفهم المعنى الباطني الحقيقي وهو المقصود الذي يريده الخطيب من الجمهور فهمه والتأثر به واعتبر بيرلمان perelman الكناية كحجة وهي امتداد للتمثيل وهي تكثيف لها يعمل بفضل الاندماج بين الموضوع والمثيل [24]، وهي بمثابة دليل للخطيب(الشاعر) لإثبات معانيه وإقناع قارئه.

قال الربيع بوشامة:

ويحييك كـــرام جلة عمروا بالذكر والخير سماءه

يا لك الله سعيدا قَد وفى لك من آثرت في الدنيا اتقاءه [25]

صرح الشاعر في خطابه بـ "كرام جلة" ويقصد خطابا خفيا غير ظاهر وهو " أهل العلم" بمعنى أنه كنى بالعلماء لتحريك وجدان المتلقي(المعلم) وإعمال عقله قصد الحصول على الإقناع والتأثير فيه، وإثبات أن المعلم أو المربي له مكانة عالية وقدوة للناس، فالمعلم واجبه قول الحق وتجديد الأفكار الراقية الهادفة إلى الإصلاح، وإدراك مواطن الخلل بالحكمة والموعظة الحسنة.

النتيجة المستخلصة من هذه الحجة أن المعلم قد أدى أمانة العلم وهي التعليم السليم والآداب الحسنة لتسليح المتعلم وإظهار نهجه ومخزونه المعرفي .

قال الربيع بوشامة:

ما أحيلي عيشك المحبوب في عالم الروح، وما أزكى صفاءه

إنك المحظوظ والله، وإن عشت رهن البؤس مشبوب الظماء [26]

ويقصد الشاعر في خطابه: " عالم الروح " هو عالم ما بعد الموت فالروح تكون مرتبطة بالجسد في الحياة وتفارقه بعد الموت بمعنى أنّ الشاعر كنى بالموت لتهيئة المتلقي

(المعلم) من أجل حمله على الإقناع والتأثير لأنّ المعلم سينال الجنة؛ لأنه جاهد واجتهد في سبيل إحراز الغذاء العلمي للمجتمع، وما تحمله من رقي وتقدم وتمدن، وإحياء الروح الحكيمة النافعة والتغلب على الحملات المعادية للعلم والعلماء، وأمّا الحجة المستخلصة هي: إبلاغ المتلقي وتبديل أفكاره وإقناعه بأن الأعمال في حق العلم والتعليم والأفكار السامية بين المتعلمين ليعيشوا في

إخاء وهناء وسلام دون الشروع في الشدة والقسوة، فينابيع السعادة تنتظر المعلم عند الله عز وجل ومنزلته مرفوعة في مرتبة الأنبياء.

قال الربيع بوشامة:

في يديك اليوم أنوار الهدى وشفاء النفس من كل وباءه
وتراث معنــوي خالـــــد ورقى من كتـــاب وقراءه
ولسان هــو أسـمى لغـــة في الورى من يحيه يحفظ بقاءه [27]

ونلاحظ استخدم الشاعر في خطابة بعض الكنايات وهي " أنوار الهدى" و قصد التعليم وأساليب التربية لأنها تزيل البأس، وتفوض للأجيال المقبلة النظر في صنيع العلماء والمعلمين وصنيع ما ينتجه، والتمييز بين ما ثبت عن العلماء وما ثبت عنهم.

وكنى بعبارة "تراث معنوي خالد" ومراده هو العلوم والآداب، وما نتج منها نماذج طيبة وثمرة صالحة لترك أثر إيجابي في نفوس الأبناء والمجتمع، وتشجيعهم على الشعور بالواجب اتجاه أرباب الأقلام السامية والأفكار البليغة الثاقبة.

وكنى أيضا "أسمى لغة" غرضه من الكناية اجتلاب العقل وإحقاق بلغة القرآن وأهل الجنة وهي اللغة العربية ووجوب الاعتناء ببيان قيمتها، وتحسين سمعتها وتشريف غاياتها بأقلام طاهرة وضمائر نزيهة.

والحجج المستخلصة في الكنايات إحقاق الغايات المنشودة، وتقريب المعنى الحقيقي وإظهاره في أبهى الأوصاف لتأثير المتلقي وإقناعه وتحريك وجدانه.

4- **الطباق :**

مطابقة الألفاظ وإيجاد العلاقة بين المعنيين وهي: " الجمع بين الشّيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين السوّاد والبياض، واللّيل والنّهار، و الحرّ والبرد"[28] الطباق قائم على إيجاد علاقة بين معنيين متضادين في جملة واحدة لإفادة غرض ما .

قال الربيع بوشامة :

من رعاها فاز بالحسنى، ومن خانها قد خان في الدهر نجاءه [29]

وجمع الشاعر بين لفظين رعاها وخانها وهو تقابل بين المعنين فيه تضاد أو بالأحرى ما بني على المضادة تأويلا للمعنى، فإن لفظة رعى لا يقابل لفظة خان في المعنى فالغاية منه الإقناع، و التأثير في المتلقي وشد انتباهه، والشروع في التجرد من الصفات الذميمة والدنيئة كخيانة الأمانة التي ألقيت على عاتق المعلم، وهي ومجابهة مفاسد العادات وجمود العقل، وإطفاء نار الجهل بإصلاح

المجتمع وتثبيت مبادئه، والاشتغال بعبادة لله وشكره والتوكل عليه والإخلاص له، وإدراك منزلة الآخرة والحصول على أعلى مراتب في جنات عدن.

قال الربيع بوشامة:

لا تلن للظلم من أي فتى ربّ لين ساق للحر دناءه [30]

واللفظتان (لا تلن، ولين) تقابل بين المعنين فيه تضاد فمعنى لا تلن في الخطاب لها دلالة تربوية أخلاقية إذ عمد الشاعر إلى استخدام هذه اللفظة لكل من يتساهل ويتهاون دائما للظلم ولا يدافع عن نفسه ويكمل حياته في صمت و راضي ومقتنع بالوضع و دون تصريح بأي شكوى؛ حتما سيجد نفسه يعيش بائسا في ظلام يسوده الشدة والألم والغيظ، واستخدم لفظة (لين) والمراد منه أن ينتهج أسلوبا ودستورا حازما في معاملاته و مكافحا في حياته دون عداوة وبغضاء وظلم، وأراد الشاعر من هذا الطباق استمالة المتلقين عبر الصور المعنوية والحسية التي تصور الواقع الذي يعيشه المعلم وتجاربه الحكيمة، وقد مثلت هذه الألفاظ قوة بلاغية إقناعية لاستحضار المعنى عند المتلقي والتأثير فيه.

الخاتمة:

لا مفر للحجاج من البلاغة، ولا سبيل إلى الإقناع في كثير من الأحيان دون إثارة وتأثير نتيجتان ننهي إليهما كلما نظرنا إلى القصيدة الشاعر الشهيد الربيع بوشامة لا يكتفي في الإقناع بفكرة أو مبدأ أو موقف بالحجج ، تلتقي جميعا في إحداث انفعال معين لدى المتلقي بفضله يستجيب للخطاب، ويهيأ لقبول نتائجه.

- يعد الشاعر الربيع بوشامة من الشعراء المصلحين ورواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين غايته النهوض بالمدرسة الوطنية وتوسيع نشاطاتها التعليمية، واستثمارات المجهودات في محاربة الجهل والفقر المعرفي.
- استعمال الشاعر الربيع آليات حجاجية إقناعية لإثبات مبتغاه في عقول الجمهور والتأثير عليه
- أبرزت جمالية الاستعارة في قصيدة -أيها المعلم حسبك ربك- قيمة معنوية و كشفت عن مواطن التأثير والاقناع في المتلقي.
- كان للتشبيه تأثير بالغ في نفوس المتلقين بحيث عمد الشاعر إلى تكثيف التشبيه في القصيدة لتبسيط أكثر من جهة، والتأثير والاقناع من جهة أخرى.
- لجأ الشاعر إلى الكناية وهي بمثابة دليل حجاجي لإثبات معانيه وإقناع قارئه
- تكمن أهمية الطباق في عملية الإقناع والتأثير لما له من قوة معنوية ، وأداة من أدوات التوصيل المعاني وتوضيحه

الهوامش

[*] أسس بيرلمان شاييم و تيتكا أولبريشت البلاغة الجديدة أو الخطابة الجديدة عام 1958 وألفا كتابا بعنوان البلاغة الجديدة أو الخطابة الجديدة ولهما الفضل في استعادة البلاغة مكانتها في الخطابات النثرية والشعرية وحتى العادية

[1] بيرلمان شاييم، فلسفة الحجاج البلاغي، نصوص مترجمة لشاييم بيرلمان، تر: أنوار طاهر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،إربد، الأردن، ط1،2019 ص 96

[2] Perelman Chaim et Lucie Olbrechts- Tyteca traité de L'argumentation – La nouvelle rhétorique , Préface de Michel Meyer , 5éme édition de L'université de Bruxelles ,1992,p59

[3] ينظر: على الشعبان، الحجاج بين المنوال والمثال (نظريات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008م، ص16.

[4] ينظر: ربيعة العربي، أشرف فؤاد، الحجاج بين الجدلية الصورية والجدلية التداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ،2020، ص25

[5] ينظر : عبدالله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم الخصائص الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2007، ص 32

[6] ينظر : عبدالله صولة، المرجع نفسه ، ص 32،33

[7] ينظر: عبدالله صولة، في نظرية الحجاج –دراسات وتطبيقات-مسكيلياني للنشر والتوزيع ، تونس ، ط1، 2011، ص 15

[8] ينظر : عبدالله صولة، المرجع نفسه ، ص 15

[9] عامر مصباح ، الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط2 ، 2006، ص17 ، 18

[10] هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منوبة، ، كلية الآداب ، جامعة تونس، دت، ص143

[11] سامية الدّريدي الحُسني، دراسات في "الحجاج" ، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم ،عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط1، 2009، ص94

[*] ولد في ديسمبر 1916م ببني يعلى بلدية قنزات دائرة بوقاعة ولاية سطيف تعلم وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة على يد الشيخ الصديق بن عبدالسلام، وتتلمذ عن سعيد صالحي وأخذ منه النحو والتجويد والقراءات عن الشيخ العياشي مزغيش كان مع اتصال مباشر بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعض علمائها كالشيخ السعيد صالحي، والسعيد بن عمر، والشيخ الفضيل الورتلاني ، كما كان عضوا عاملا في الحركة الإصلاحية، وأسس في بلدته ناديا للشباب، وساهم بشكل كبير في الثورة التحريرية المجيدة وحمل الاسم الثوري طالب بوشامة اعتقل من طرف الاستعمار الفرنسي، وتعرض لأشد أنواع التعذيب، واستشهد يوم 14 ماي 1959 ببلدية بودواو.

[12] ميشال لوغرين، الاستعارة والحجاج، ترجمة: طاهر عزيز، مجلة المناظرة، العدد04، ماي 1991،ص89

[13] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة ، دار هومه، الجزائر ، د ط، 2010، ص112.

[14] جمال قنان، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[15] جمال قنان، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[16] جمال قنان، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[17] جمال قنان، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[18] جمال قنان، المرجع نفسه، ص113

[19] جمال قنان، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[20] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ،تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط01،ص84

[21] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص 113.

[22] جمال قنان، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[23] جمال قنان، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[24] ينظر: فيليب بوتيه ، وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي ، ط1،2011، ص55

[25] جمال قنان ، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص112.

[26] جمال قنان، المرجع نفسه ، ص 112.

[27] جمال قنان، المرجع نفسه، ص 113

[28] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط2، 1989، ص16.

[29] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص 113.

[30] جمال قنان، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المصادر والمراجع:

الكتب بالعربية:

- الجرجاني(عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تحقيق: رضا، محمد، رشيد، دار المعرفة، ط01، بيروت، لبنان.
- الحسني الدريدي (سامية)، دراسات في الحجاج- قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2009.
- الشعبان(علي)، الحجاج بين المنوال والمثال.نظريات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسكيلياني للنشر والتوزيع،ط1، تونس، 2008.
- العربي (ربيعة)، وفؤاد (أشرف)، الحجاج بين الجدلية الصورية والجدلية التداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، عمان2020.
- العسكري(أبوهلال)، الصناعتين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1989.
- بوتيه (فيليب)، وجوتيه (جيل)،تاريخ نظريات الحجاج. ترجمة: الغامدي محمد صالح ناجي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1 ، جدة،2011.

- شاييم (بيرلمان)، فلسفة الحجاج البلاغي، نصوص مترجمة لشاييم بيرلمان، ترجمة: طاهر أنوار، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن،2019
- صولة (عبدالله)، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم الخصائص الأسلوبية، دار الفرابي،ط2، بيروت، لبنان، 2007.
- صولة(عبدالله)، *في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات*، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2011.
- قنان(جمال)، *ديوان الشهيد الربيع بوشامة*، دار هومة، دط، الجزائر،2010
- مصباح (عامر)، الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2006.

المقالات:

- الريفي (هشام)، الحجاج عند أرسطو. *نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*، إشراف: حمادي صمود، منوبة، كلية الآداب، جامعة تونس، دت
- لوغرين (ميشال)، الاستعارة والحجاج، ترجمة: عزيز، طاهر، مجلة المناظرة، العدد4،1991،ماي.

الكتب الأجنبية :

- Perelman (Chaim), &Tyteca (Lucie Olbrechts), *traité de L'argumentation – La nouvelle rhétorique*, Préface de Michel Meyer , 5éme édition de L'université de Bruxelles , 1992